الصراع الإسلامي الصليبي في معركة البلاط (ساحة الدم) ٥١٣هـ/١١١٩م

عائشة بنت مرشود الحربي
قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

في هذا البحث سنقف على أحداث معركة "البلاط" التي وقعت سنة ٥١٣هـ/١١١٩م بين الجانبين الإسلامي والصليبي، وتعتمد دراستنا لهذه المعركة على عدة محاور من أهمها الأوضاع السياسية في مدينة حلب قبيل المعركة، وسنوضح أهمية موقع حلب، والجهود الإسلامية لإنقاذها، التي كانت أحدى نتائجه وقوع "معركة البلاط"، وانتصار المسلمين فيها على الصليبيين وسنوضح في هذه الدراسة الخطة العسكرية التي وضعها المسلمون خلال القتال، وأهم العوامل التي ساعدت على انتصارهم، ونتائج هذه المعركة. وختم البحث بالحديث والتحليل عن أسباب عدم سيطرة "إيلغازي" على أنطاكية مع أن الفرصة كانت متاحة له بشكل كبير. فضلاً عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تلك الدراسة.

الكلمات المفتاحية: حلب – ألب أرسلان – لؤلؤ الخادم – محمد ملكشاه – تل دانيث – الأراتقة – بلدوين الثاني– تل عفرين – البلاط – أنطاكية.

مُقدّمة

شهد تاريخ الحروب الصليبية –الذي امتد لمدة قرنين من الزمان في أواخر القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السابع الهجري (من أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي)– كثيرا من المعارك الحاسمة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كتب النصر في بعضها — بإذن الله — للمسلمين، وهذا النصر بدوره أسفر عن نتائج بعيدة المدى.

في هذا البحث سنقف على أحداث معركة "البلاط" التي وقعت سنة ٥١٣هـ/١١١٩م بين الجانبين الإسلامي والصليبي، وقد عرفت عند مؤرخي الحروب الصليبية "بساحة الدم". Ager sanguini

تعتمد دراستنا لهذه المعركة على عدة محاور من أهمها الأوضاع السياسية في مدينة حلب قبيل المعركة، إذ أسهمت الأوضاع السيئة فيها إلى ازدياد الصراع بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كما سنوضح أهمية موقع حلب، والذي يعد بمثابة الهدف الأساس للتنافس على الفوز بها، كما سنقف على تضافر الجهود الإسلامية لإنقاذ حلب، التي كان أحد نتائجها وقوع "معركة البلاط" سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، وانتصار المسلمين فيها على الصليبيين وسنوضح في هذه الدراسة الخطة العسكرية التي وضعها المسلمون خلال القتال، وأهم العوامل التي ساعدت على انتصارهم، ونتائج هذه المعركة.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة عن هذه المعركة تتلخص في: إيضاح أهمية السيطرة على المواقع والمدن الإستراتيجية لأي قوة سياسية تتطلع أن يكون لها نقطة ارتكاز في المنطقة التي تتطلع للسيطرة عليها إذا واتتها الفرصة المناسبة، وإدراك صدى توحيد الجبهة الإسلامية الداخلية، وأثرها في دحر العدوان الخارجي، فضلاً عن التأكيد على مبدأ أن النصر الحقيقي ليس الذي يتحقق على ساحة المعركة ساعة اللقاء والالتحام بل هو ما يتوطد بعد ذلك من فتح وتثبيت لدعائم ذلك النصر. وقد حرصت أثناء كتابة هذا البحث بأن أطلع على كتابات المؤرخين السابقين والمحدثين، وذلك حتى أقف على النقاط التي كانت مثارًا للتساؤل والتحليل، كي أدلي برأيي العلمي فيها، وفي الوقت ذاته أطرح ما لدي من إيضاح وتساؤلات حول بعض الجوانب التي لم يتطرق إليها من سبقني من الباحثين الذين تناولوا تلك المعركة في خضم حديثهم عن أحداث تاريخية أُخرى، ولم تكن المعركة نفسها في

البريد الإلكتروني: ay.1430@hotmail.com
ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

صميم حديثهم، وفي النهاية ختمت البحث بالحديث والتحليل لأسباب عدم سيطرة "إيلغازي" على أنطاكية مع أن الفرصة كانت متاحة له بشكل كبير. فضلاً عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تلك الدراسة.

الأوضاع السياسية في حلب قبيل معركة البلاط

كانت حلب هدفًا لأطماع الصليبيين منذ قدومهم إلى الشام، وبخاصة إمارة أنطاكية الصليبية[١] التي كانت حلب تقع في شرقها،وفي متناول هجماتها[٢].

هذا فضلاً عن أنها كانت ذات أهمية بالغة لمن يريد مجابهة الصليبيين وإيقاف خطرهم، فإن موقعها يسمح لها بالاتصال بالقوى الإسلامية التركمانية المنتشرة في الجزيرة والفرات والأناضول وشمالي الشام وأواسطه مما يعد أساسًا حيويًا لاستمرار حركة الجهاد وتحقيق أهداف حاسمة ضد الصليبيين. لذاكانت مدينة حلب للمسلمين طريقا عريضا، في حركة الجهاد ضد الصليبيين. بالإضافة إلى ما كانت تتمتع به حلب من مركز إستراتيجي حيوي من النواحي البشرية والعسكرية والسياسية والاقتصادية وإشرافها على خطوط المواصلات، فهي تقع في مركز وسط حصين بين إمارتين صليبيتين هما الرها[٣] وأنطاكية[٤].

من العرض السابق لأهمية حلب نجد أنها كانت بمثابة الصفقة الرابحة لمن يسيطر عليها من الجانبين الإسلامي أو الصليبي على حد سواء.

وكان من الطبيعي أن يشتد التنافس للسيطرة على حلب، ولاسيما أن أوضاعها الداخلية قد شجعت على ذلك، وخاصة عندما توفي الأمير "رضوان بن تتش" حاكم حلب سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م. وترك ولدين هما "ألب أرسلان" و"سلطان شاه"، ونظرًا لصغر سنهما فقد كان الوصي عليهما الأتابك "لؤلؤ الخادم"، والذي عرف بطيشه وسوء تدبيره[٥]، فحكم حلب باسم "ألب أرسلان" الذي كانت سياسته قائمة على الانتقام وحب الانفراد بالسلطة.

وعن ظروف حلب في عهد "ألب أرسلان" نستطيع أن نقول: إن الخطر الصليبي كان يحيط به من الخارج، إضافة إلى تحكم "لؤلؤ الخادم" بالأمور دونه، لذا رأى أنه لابد من الاعتماد على الأتابك" طغتكين "(٤٩٧-٥١١هـ/١١٠٣-١١١٧م) في دمشق لحسن رأيه وتدبيره، فضلاً عن خبرته العسكرية الواسعة المدى[٦].

وما إن وجه "ألب أرسلان" الدعوة "لطغتكين" للقدوم إلى حلب، حتى سارع بتلبية الدعوة.

وكان من نتيجة قدوم طغتكين على حلب وحاكمها "ألب أرسلان" أن أتاح فرصة لإصلاح أحوالها، لكن مما يؤسف له أن "ألب أرسلان" أراد استغلال وجود"طغتكين "لتدعيم سلطته دون اعتبار للمصلحة العامة فشرع بقتل كل من يراه منافسًا له أو يشك به[٧].

ولنا أن نقف عند موقف "طغتكين" وأهل حلب من تصرفات وسياسة "ألب أرسلان" السابقة.

في الحقيقة استاء "طغتكين" من سوء تصرفات "ألب أرسلان "لذا قفل راجعًا إلى دمشق، وفي الوقت ذاته قام" لؤلؤ الخادم" بالاتفاق مع بعض أمراء حلب على التخلص من "ألب أرسلان"، فتم قتله سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م[٨].

سارت الأوضاع في مدينة حلب نحو الأسوأ، فقد نصب "لؤلؤ الخادم" "سلطان شاه".

—الابن الثاني لرضوان— حاكمًا على حلب، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز ست سنوات[٩]، إذ كان يهدف إلى أن تظل الأمور بيده، لكن أوضاع حلب الداخلية ازدادت تدهورًا، بسبب وقوع كثير من الأراضي والقرى الزراعية المحيطة بالمدينة تحت سيطرة الصليبيين، كما

(١) أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها. انظر الحموي: معجم البلدان، المجلد الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت)، صـ ٢١٣.

(٢) عبد الغني زهرة :الهدن والمفاسخات، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م. صـ ٣٩.

(٣) الرها: من ديار مضر وهي مدينة رومية عظيمة فيها آثار عجيبة وهي بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشرقي الشمالي عن الفرات. انظر أبو الفدا: تقويم البلدان، باريس، ط ١٨٥٠م، صـ ٢٧٧.

(٤) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م. ، صـ ٢٣٤ — ٢٣٥.

(٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، د (ت)، صـ ١٨٩، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، طبعة دمشق، ١٩٥١م، ج٢، صـ ١٦٧.

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، صـ ١٧٠، وإبراهيم المزيني: إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٢٠٠٣م، صـ ١٦٢.

(٧) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، صـ ١٧٠ — ١٧١.

(٨) ابن القلانسي: ذيل، صـ ١٩١.

(٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م، ج١٠، صـ ٥٠٨.

انقطعت عنها القوافل التجارية التي كانت تحمل الأغذية والبضائع، وذلك لانعدام الأمن في الطرق المؤدية إليها(١٠).

حاول "لؤلؤ الخادم" أن يصلح من الوضع المتدهور في حلب، فعمد إلى طلب الاستغاثة والعون العسكري من الأمراء المسلمين وفي مقدمتهم "طغتكين" حاكم دمشق، وأبدى "لؤلؤ الخادم" استعداده لتسليم حلب لمن يسارع إلى نجدته أولاً، لكن لم يجبه أحد، وتركوا "لؤلؤ الخادم" وحيدًا في خضم الأحداث الداخلية والخارجية(١١).

تفسر الباحثة موقف الأمراء المسلمين بأنهم في هذه الفترة انشغلوا في خلافاتهم الداخلية مع بعضهم البعض، فضلاً عن كثرة هجمات الصليبيين على الأراضي الإسلامية، وهذا يتطلب في المقام الأول من كل أمير مسلم أن يدفع الخطر الصليبي عن بلاده، هذا بالإضافة إلى عدم ثقتهم بوعود "لؤلؤ الخادم" لهم، وبخاصة بعد ما رأوا سوء صنيعه بأبناء رضوان.

في الواقع لم يجد "لؤلؤ" سبيلاً أمامه سوى الاستنجاد بالسلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه" (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٨م)، ووعده بتسليمه حلب وخزائنها نظيرًا لمساعدته، لذا استجاب له السلطان "محمد بن ملكشاه" سريعًا، لكن "لؤلؤ الخادم" ما لبث أن راودته المخاوف إذ أدرك بأنه لن ينال شيئًا من حلب إذا دخلها السلطان، لذا كان لزامًا عليه أن يستدرك خطأه لتظل حلب في قبضته(١٢). كما أن استغاثته بالسلطان "محمد السلجوقي" ليست إلا على سبيل المغالطة والخداع كي يستفيد من عنصر الزمن ويوهم أنه لا يريد الإمارة لنفسه(١٣).

ولذا سارع "لؤلؤ الخادم" بالاتصال "بطغتكين" حاكم دمشق، ووعده أن يسلمه حلب على أن يعوضه بأقطاع من أعمال دمشق، فوافق "طغتكين" على هذا العرض لأنه سيحقق له فوائد عدة منها، رغبته في الاستيلاء على شمال الشام، ومن ثم توحيد بلاد الشام كلها تحت رايته، إضافة إلى خوف "طغتكين" على إمارته من مجاورة دولة السلاجقة فهو يسعى للحيلولة دون سيطرة السلطان على حلب(١٤).

كما أن "لؤلؤ الخادم" راسل "نجم الدين إيلغازي الأول بن أرتق" (٥٠٠-٥١٦هـ/١١٠٦-١١٢٢م) صاحب ماردين(١٥) الذي استجاب بدوره لطلب "لؤلؤ الخادم".

ولعل مادفع "لؤلؤ الخادم" إلى مراسلة أكثر من قوة إسلامية عدة أمور من أهمها رغبة لؤلؤ في أن تتنافس القوى الإسلامية لمساعدته لاسيما بعد أن جعل حلب ثمنًا لتلك المساعدة، فضلا عن أن "لؤلؤ الخادم" رغب ألا يقع تحت سيطرة حاكم مسلم واحد فهو يريد أكثر من قوة في آن واحد حتى يستطيع مساومتها على تسليم حلب نظير ما يفرضه عليهم من شروط.

ومن ثم فرح "لؤلؤالخادم" بقدوم كل من "طغتكين" و"إيلغازي" لنجدته وهذا مما شجعه على عدم تسليم المدينة للسلطان "محمد بن ملكشاه". مما أثار غضب الأخير على "لؤلؤالخادم"(١٦).

نظر السلطان السلجوقي إلى قدوم "طغتكين" و"إيلغازي" لحلب دون إذنه على أنه خروج على سلطانه، وفسر انقلاب "لؤلؤالخادم" المفاجئ عليه بأنه اعتمد على تأييد "طغتكين" و"إيلغازي" له، لذا رأى أن يدمر هذا التحالف الذي حال دون سيطرته على حلب(١٧).

شرع السلطان بالقيام بعدة خطوات لتنفيذ فكرته، وأمر قائده "برسق بن برسق" بالتوجه من حلب إلى حماة والسيطرة عليها، وذلك حتى يجبر "طغتكين" على الخروج من حلب، لأن حماة تمثل مركز التموين لدمشق، ثم سار بقواته إلى "رفنية"(١٨) فاستولى عليها.

وكان لتحركات برسق السابقة أثر بالغ على طغتكين؛ حيث تسرب الخوف بل استبد القلق "بطغتكين" على دمشق، لذا خرج بقواته من حلب وبرفقته "إيلغازي بن

(١٠) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٣.
(١١) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٣.
(١٢) ابن العديم، زبدة، ج٢، ص ١٧٤.
(١٣) أرشيد يوسف: سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م، ص ١٦٠.
(١٤) إبراهيم المزيني: إمارة حلب، ص ١٦٧.
(١٥) ماردين: من ديار ربيعة وهي حصن من بلاد الجزيرة، ولها قلعة منيعة وتقع بالقرب من نصيبين. انظر الحموي :معجم البلدان،م٤،ص١٩٤. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٧٩، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د (ت)، ص ٢٥٩.
(١٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥٠٩
(١٧) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥١٠، ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٥.
(١٨) رفنية: كوره ومدينة من أعمال حمص، الحموي: معجم، م٢، ص ٤١١.

أرتق"، واتجهوا إلى أنطاكية، حيث استنجدوا بصاحبها "روجر" (٥٠٦-٥١٣هـ/١١١٢-١١١٩م) Roger prince of Antioch. واتفق رأيهم على مناورة قوات "برسق" وعدم الدخول معها في اشتباك حاسم[١٩].

ومما يؤسف له أن يستنجد المسلمون بالصليبيين لدفع خطر بعضهم عن بعض.

ومن ثم اكتفت القوات الإسلامية الصليبية المتحالفة بالمرابطة دون وقوع اشتباكات عسكرية مع قوات السلطان "محمد بن ملكشاه".

ويعلل ذلك ابن العديم بسبب ضخامة عدد قوات "برسق"[٢٠] كما تورد الباحثة لذلك عدة اعتبارات من أهمها:

- أن كل طرف كان يخشى من حجم قوات الطرف الآخر.
- كما أن الفرقة دبت بين قواد القوات المتحالفة،فكان كل واحد منهم يرغب أن يفوز بمفرده بالسيطرة على حلب دون أن يشاركه أمير آخر في ذلك.
- إضافة إلى أن هدفهم من التحالف كان لإرهاب "برسق"، حتى ينسحب من حلب.

وعلى الرغم من ذلك فقد انفك هذا التحالف وعاد كل منهم إلى بلاده، لكن برسق عاد فجأة لحصار حلب بعد فترة وجيزة من رحيل القوات المتحالفة، وهذا مما جعل "لؤلؤالخادم" يطلب النجدات العاجلة من حليفه "روجر" والذي استجاب له سريعًا بدوره. وتمكن من هزيمة "برسق"[٢١] في معركة "تل دانيث" سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م[٢٢].

ولكن لماذا استنجد "لؤلؤالخادم بروجر" دون بقية حلفائه الآخرين؟.

يبدو أن "لؤلؤالخادم" استنجد "بروجر" دون بقية حلفائه الآخرين، لأنه رأى فيه الحليف الأقوى والأقرب، كما أن الجانب الصليبي يمثل العدو اللدود "لبرسق" القائد السلجوقي، ذلك مما يجعله يقاتله بلا هوادة، وهذا ما حدث بالفعل.

وبهذا استطاع "لؤلؤالخادم" أن يحتفظ بحلب بعد معركة "تل دانيث"، لكنه ما لبث أن اغتيل سنة ٥١٠هـ/١١١٥م[٢٣]. وساءت أوضاع حلب للغاية، فقد حاول "ياروقتاش" -أحد خدام الملك رضوان- أن يسيطر على المدينة لكن سرعان ما ظهر منافس له وهو "آق سنقر البر سقي"، وكانت حجته في ذلك أن السلطان السلجوقي قد أقطعها إياه[٢٤].

وإزاء هذا الأمر قرر "ياروقتاش" أن يستنجد بالقوى المجاورة الإسلامية والصليبية على حد سواء، فاستنجد "بإيلغازي بن أرتق" صاحب ماردين، كما استنجد "بروجر" صاحب أنطاكية، والذي بدوره وصل إلى حلب قبل إيلغازي[٢٥].

لذا اضطر "آق سنقر" أن ينصرف عن حلب[٢٦]، وعقد ياروقتاش اتفاقًا مع "روجر" صاحب أنطاكية الصليبية، وبذل له كثيرا من الأموال مقابل حماية حلب، كما تنازل عن حصن القبة (قبة ملاعب) الواقعة بين حلب ودمشق[٢٧]، ومنحه حق استيفاء رسوم معينة على القوافل المتجهة من حلب إلى الحجاز[٢٨].

وبذلك قدم مسلمو حلب التنازلات والامتيازات مقابل أن يستظلوا بالحماية الصليبية ضد القوى الإسلامية الأخرى.

لكن "ياروقتاش" لم يهنأ له الحال طويلاً إذ قبض عليه وأخرج من حلب، وتولى الحكم خادم آخر من خدم رضوان[٢٩].

حلب في ظل حكم الأراتقة

تولى "ابن الملحي الدمشقي"[٣٠] الوصاية على "سلطان شاه" ابن الأمير "رضوان"، في الوقت الذي اشتدت

(١٩) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥١٠.
(٢٠) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٥.
(٢١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥١١.
سعيد برجاوي: - الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص ٢٣٦.
(٢٢) تل دانيث: بلد من أعمال حلب بين حلب وكفر طاب. الحموي: مصدر سابق، م٢، ص ٢٨٥.، ص ٧٦، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥١٢.

(٢٣) ابن الأثير:الكامل، ج ١٠،ص٥٣١.
(٢٤) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٧.
(٢٥) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٧٩.
(٢٦) ابن القلانسي: ذيل، ص ١٩٩.
(٢٧) فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية،بيروت،مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م،ص ١٦١.
(٢٨) ابن العديم: ذيل، ج٢، ص ١٧٩.
(٢٩) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٩٩.
(٣٠) ابن القلانسي: ذيل، ص ١٩٩.

هجمات الصليبيين على مزارع وقرى حلب مما أضعفها بل دمرها اقتصاديًا، لذا اضطر أهلها للجوء إلى "إيلغازي" صاحب ماردين،وعرضوا عليه تسليمه المدينة لتسليمه حلب سنة ٥١١هـ/١١١٦م. فجاء إليهم. ودخل المدينة وتكفل بالإشراف على تربية "سلطان شاه بن رضوان السلجوقي"،كما قام على الحكم باسمه.

وقد اتخذ "إيلغازي" عدة خطوات لمجابهة العدوان الصليبي على حلب، من أهمها:

أولا: الهدنة مع الصليبيين:

كانت حلب في حالة سيئة للغاية سياسيًا واقتصاديًا، لذا رأى" إيلغازي" أن يهادن الصليبيين على مال سنوي يؤديه لهم[٣١]، وترى الباحثة أن الغرض من هذه الهدنة هو أن يستغل "إيلغازي" الوقت لإعادة بناء الجبهة الداخلية في حلب بعد سبر أغوارها، وجمع الحلفاء حتى يكون مستقبلاً قادراً على مجابهة العدوان الصليبي، فضلاً عن أنه يريد اختبار مدى استعداد قواته للحرب.

ثانيا: العودة إلى ماردين:

عاد "إيلغازي" إلى ماردين سنة ٥١١هـ / ١١١٦م بعد أن استخلف ابنه "حسام الدين تمرتاش" نائبًا عنه في حلب[٣٢]، وكان يهدف من عودته إلى ماردين أن يجمع عددًا كبيرًا من التركمان ويرجع بهم إلى حلب.

ساءت الأوضاع في حلب بعد رحيل "إيلغازي" عنها فقد قام الجند المقيمون في بالس[٣٣] بالإفساد في أعمال حلب، بسبب الغلاء الذي عم موقعهم، فضلاً عن أن الصليبيين قد شرعوا في فرض الحصار على بالس، فلما علم "إيلغازي" بخبرهم عاد مسرعًا على رأس قواته لإنقاذ بالس، عندها اضطر الصليبيون للانسحاب عن بالس، ولذا عاد "إيلغازي" مرة أخرى إلى ماردين[٣٤].

وفي تلك الأثناء قدم إلى حلب كل من "طغتكين" و"آق سنقر" يرغبان في إنقاذ حلب وتحسين أوضاعها المتدهورة، لكن أهالي حلب رفضوا تسليم المدينة لهم.

(٣١) الحريري: الأخبار السنية في تاريخ الحروب الصليبية،، مكتبة الفاروق، القاهرة، ص ٣٧٠.

(٣٢) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٥٣٢، ابن أبي الهيجاء: تاريخ أبي الهيجاء، دار رياض الصالحين، تحقيق د: صبحي عبد المنعم، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٧٤.

(٣٣) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. الحموي: معجم البلدان، م١، ص ٢٦١.

(٣٤) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨٠.

بل فضلوا أن يدخلوا في حماية الصليبيين، لذا أرسلوا إلى حليفهم القديم "روجر الأنطاكي"، فانصرف كل من "طغتكين" و"آق سنقر" نحو بلاده، لأن "روجر" بالقدوم إلى حلب[٣٥].

لكن الصليبيين ما أن دخلوا حلب حتى عاثوا فيها بالفساد، فتوجه أهل حلب إلى طلب المساعدات الإسلامية، فاستجاب "طغتكين" لدعوتهم، لكنه لم يستطيع الصمود أمام القوات الصليبية التي هزمته[٣٦].

وقد شجع النصر الصليبيين على مهاجمة قلعة عزاز شمالي حلب[٣٧] والسيطرة عليها والاستفادة منها في زراعة الغلات الزراعية، مما أضر بحلب اقتصاديًا لأنها كانت تعتمد على مزارع عزاز في تموينها[٣٨]. وترى الباحثة أن هذا الأسلوب يترادف تمامًا مع حرب الحصار الاقتصادي في العصر الحديث في الطريقة والهدف.

كان من نتيجة ذلك أن راسل أهل حلب "إيلغازي" حاكم ماردين لإنقاذهم من الخطر الصليبي وزيادة على ذلك وعدوه بأن يؤمنوا له ما لا يصرفه على جنده فقدم إلى حلب بجند قليلة العدد والعتاد، لذا رأى أهل حلب أنه من الأفضل منعه من دخول حلب[٣٩].

ويبدو أن أهل حلب ربما توجسوا خيفة من مستقبل دخول إيلغازي إلى حلب وبخاصة ما تمثله حلب من أهمية كبرى لإيلغازي ومستقبل إمارته.

بعد ذلك قفل "إيلغازي" راجعًا إلى بلاده امتثالا لرغبة أهالي حلب، لكن كبار أعيان حلب لحقوا به وطلبوا منه الرجوع إليهم وألحوا في طلبهم حتى عاد معهم[٤٠].

وقد خشي هؤلاء من الوقوع تحت الحماية الصليبية لاسيما بعد ما اكتشفوا نواياهم الاستعمارية، فلذا فضلوا الركون إلى الحماية الإسلامية فهي خير لهم من البقاء تحت رحمة الصليبيين.

(٣٥) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨١.

(٣٦) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨١.

(٣٧) عزاز: بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب. الحموي: مصدر سابق، م٣، ص ٣٢٤.

(٣٨) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨١.

(٣٩) ابن القلانسي: ذيل، ص ١٩٩.

(٤٠) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨١.

المقدمات العسكرية لمعركة البلاط

لما دخل "إيلغازي" حلب وسيطر عليها، بدأ يتخذ الخطوات الفعلية لمجابهة الصليبيين، فكانت أولى خطواته هي البحث عن الحلفاء فاختار محالفة "طغتكين" حاكم دمشق في المقام الأول.

ولهذا التحالف مبررات عدة، من أهمها: أواصر الصداقة التي كانت قائمة بينهما من قبل، فطغتكين كان في مقدمة حلفاء "إيلغازي". إضافة إلى تعرض دمشق أيضًا إلى هجمات الصليبيين، وهذا يشكل وحدة العدو المشترك[٤١]. وفضلا عن ذلك فإن "طغتكين" لديه الخبرة العسكرية والسياسية في مجابهة الصليبيين.

لذا توجه "إيلغازي" سنة ٥١٢هـ/١١١٨م إلى دمشق للاتفاق مع "طغتكين" على مجابهة الصليبيين فتم التحالف بينهما بنجاح، وجعلا ميقاتهما المعلوم للقاء هو صفر من عام ٥١٣هـ/١١١٩م[٤٢].

بعد ذلك عاد "إيلغازي" إلى ماردين ليجمع قواته، ويتجهز لاستقبال ما يقدم عليه من الكتائب المؤلفة من الكرد النازلين بالشمال، ومن القبائل العربية الضاربة ببادية الشام. ورأى "إيلغازي" من الناحية الشكلية أن يطلب المساعدة من السلطان "محمود ملكشاه"، غير أنه لم يتلق ردًا على طلبه[٤٣]، وهذا موضع للتساؤل.

وترى الباحثة أن السلطان "محمودًا" اتبع سياسة والده بالنظر إلى" إيلغازي" و"طغتكين" بأنهما خارجان عن طاعة السلطان، إذ خرجا للجهاد دون إذن مسبق من السلطان.

أما "بنو منقذ" -أمراء شيزر-[٤٤] فإنهم وعدوا بأن يحملوا "روجر" أمير أنطاكية على الانصراف إلى جهة أخرى، بأن يزمعوا مهاجمة الأطراف الجنوبية لممتلكاته[٤٥]

ولما شرع بنو منقذ يغيرون على "أفامية"[٤٦]، أرسل إليهم إيلغازي بعضًا من جنوده، حتى يتقووا بهم على الصليبيين، وقام "إيلغازي" على رأس جيشه الأساس بالإغارة الخاطفة على بلاد "الرها"، غير أنه لم يحاول مهاجمة عاصمتها المنيعة[٤٧].

ويبدو أن "إيلغازي" كان يريد اتباع سياسة المناورات العسكرية لاستعراض واختبار مدى قوة جيشه، ولم يهاجم العاصمة حتى لا تتبدد قواته أو تدخل في مصادمات قوية مع الصليبيين قد تفقده بعضاً من جنده.

وفي تلك الآونة قام الصليبيون في بداية عام ٥١٣هـ/١١١٩م بالاستيلاء على "حصن بزاعا"[٤٨]، ثم عاثوا فسادًا في باقي أعمال حلب. لذا عمد أهالي المدينة إلى مراسلة الخليفة العباسي "المسترشد بالله" (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م) لإغاثتهم، لكنه لم يجبهم نظراً لضعف الخلافة العباسية آنذاك[٤٩].

لذا لم يجد الأهالي بدًا من الاستغاثة "بإيلغازي"، وبخاصة بعد ما اشتد عليهم الخطر الصليبي من جهة الأثارب[٥٠]، فاستجاب لهم "إيلغازي" وسارع بالتوجه نحو حلب[٥١].

ما إن علم القادة الصليبيون بقدوم "إيلغازي" حتى سارع "روجر" صاحب أنطاكية بالاستنجاد "بجوسلين" أمير "الرها" (٥٠٦-٥٢٥هـ/١١١٢-١١٣١م) Joscelin count of Eeddssa و"بونز" أمير "طرابلس" (٥٠٦-٥٣١هـ/١١١٢-١١٣٧م) Pons count of the tripolic، و"بلدوين الثاني" ملك بيت المقدس[٥٢] (٥١٢-٥٢٥هـ/١١١٨-١١٣١م) king

(٤١) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، ص ٢٤٠.
(٤٢) ابن القلانسي: ذيل، ص ٢٠٠.
(٤٣) ابن القلانسي: ذيل، ص ٢٠٠،رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٢٣٦.
(٤٤) شيزر: قلعة تشتمل على كوره بالشام قرب المعرة وتعد في كوره حمص، الحموي: معجم البلدان، م٣، ص ١٧١.
(٤٥) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٣٦.
(٤٦) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وهي من كور حمص، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٢٢٧، أبو الفدا: تقويم البلدان: ص ٢٤٣.
(٤٧) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٣٧.
(٤٨) بزاعا:بلدة من أعمال حلب في وادي البطان بين منبج وحلب،وبين كل منهما مرحلة.انظر:الحموي:معجم البلدان،المجلد الأول،ص٣٢٤.
(٤٩) القلانسي: ذيل، ص ٢٠٠، محمد محمد مرسي: الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١٩٩٠.، ص٣٩ - ٤٠. ولمعرفة أوضاع الدولة العباسية بالتفصيل انظر حسن محمود،احمد الشريف:العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٥م.
(٥٠) الأثارب: قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية بينهما وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ، الحموي: معجم البلدان، م١، ص ٨٠.
(٥١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م. ج٥، ص ٤٨٧.
(٥٢) ابن الأثير:الكامل،ج ١٠،ص ٥٥٤، فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص ١٦٤.

of Jerusalem BaldwinII وتقدم "روجر" بقواته حتى عسكر عند أرتاح[٥٣] على الطريق الرئيس المتجه إلى أنطاكية لحمايتها من جهة ولمراقبة تحركات إيلغازي. ولانتظار النجدات الصليبية[٥٤].

وقد اختلفت الروايات في تقدير قوات "روجر الأنطاكي". فذكر "وليم الصوري" أن عددها سبعمائة فارس و ثلاثة آلاف من المشاة المدربين[٥٥]. وقد ذكر "رنسيمان" أن عدد جنده سبعمائة فارس وأربعة آلاف راجل[٥٦].

أما "ابن القلانسي" فقد قدّر الجيش بنحو عشرين ألف مقاتل[٥٧]. وترى الباحثة أن العدد مبالغ فيه عند "ابن القلانسي". إذ لو كانت قوات "روجر" بهذا العدد الهائل لما طلب النجدة من الأمراء الصليبيين، وكذلك من ملك بيت المقدس "بلدوين الثاني"، كما أن المنطقة الجبلية -تل عفرين-[٥٨] لا تستقطب هذا العدد من الجند، ولذا عوض النقص البشري للجند بالحصانة الطبيعية للموقع الجبلي.

الأحداث العسكرية لمعركة البلاط

قام "روجر" بالزحف بقواته وعسكر بالقرب من الأثارب في موضع يقال له تل عفرين وذلك في موقع بين جبال ليس لها طريق إلا من جهة واحدة ضيقة بالقرب من البلاط[٥٩]، فسيطر على هذا الطريق وانتظر حتى تصله الإمدادات العسكرية الصليبية.

وقد بلغ من اطمئنان الصليبين إلى حصانة الموقع ومنعته، أن أرسل "روجر" إلى "إيلغازي" يقول له: "لا تتعب نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك"[٦٠].

ويكشف كلام "روجر" أنه انتوى المسير إلى حلب والسيطرة عليها.

سعى "إيلغازي" إلى التحقق من مدى قوة المعسكر الصليبي، لذا أرسل جواسيس على هيئة تجار[٦١].

وكان "إيلغازي" في ذلك الوقت معسكرا في قنسرين[٦٢]، وقد اتخذها قاعدة لشن الهجمات[٦٣] على حارم[٦٤] وجبل السماق[٦٥]، وهذه تعتبر نقاط قوة لمن يسيطر عليها.

رجع جواسيس "إيلغازي" بالمعلومات العسكرية، فتأهب للهجوم على جيش "روجر" دون انتظار قدوم حليفه "طغتكين" حاكم دمشق، الذي تجاوز الميقات المحدد للقاء المتفق عليه آنفًا دون أن يحضر بجيشه أو أن يرسل — على الأقل — رسولا يوضح أسباب تأخره.

ولعل "طغتكين" لم يكن يريد الدخول في معارك حاسمة مع الصليبيين بشكل مباشر وذلك خوفًا من أن يثأر منه الصليبيون لاحقًا بالسيطرة على دمشق، كما أن "طغتكين" كان لايريد قطع صلاته الدبلوماسية مع ملوك بيت المقدس فهو كثيرًا ما يعقد معهم اتفاقيات[٦٦] حتى يتقوى بهم أمام المسلمين فلا ينافسوه في السيطرة على دمشق.

مهما يكن من أمر فقد تقدم المسلمون بقيادة "إيلغازي"نحو "البلاط "، وكان مسير إيلغازي يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الأول سنة ٥١٣هـ/١١١٩م[٦٧].

وقد أحسن المسلمون في اختيار يوم الجمعة بدءًا للزحف وذلك حتى تستغل الخطبة في وعظ الجنود وحثهم

(٥٣) أرتاح: اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب، الحموي: معجم البلدان، م١، صـ ١١٨.

(٥٤) صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني، دار العالم العربي، ط١، ٢٠٠٨م، صـ ٨٠.

(٥٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م،صـ ٣٤٩

(٥٦) رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٧.

(٥٧) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠٠.

(٥٨) تل عفرين: مدينة بين مرعش وأنطاكية وهي من أعمال حلب، انظر الحموي: معجم البلدان، ج١، صـ ٣٧٦.

(٥٩) البلاط: مدينة بين مرعش وأنطاكية وهي من أعمال حلب، انظر الحموي: معجم البلدان، ج١، صـ ٣٧٦.

(٦٠) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، صـ ٥٥٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م صـ ١٨٤، الذهبي: دول الإسلام، ج٢، تحقيق حسن إسماعيل، بيروت، ط ١٩٩٩م، صـ ٤٠. Nicholson، The Growth of the Latin States،p٤١٣

(٦١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٧.

(٦٢) قنسرين: كوره بالشام بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، الحموي: معجم البلدان، م٤، صـ ٩٤.

(٦٣) عماد الدين خليل: الأمارات الارتقية، صـ ٢٤٢.

(٦٤) حارم: حصن وكوره تجاه أنطاكية، وهي من أعمال حلب. الحموي: معجم البلدان، م٢، صـ ١٠٨.

(٦٥) جبل السماق: جبل عظيم من أعمال حلب الغربية يشتمل على مدن كثرة وقرى وقلاع. وسمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق. الحموي: معجم البلدان، م٢، صـ ٢٩.

(٦٦) عن هدن طغتكين مع الصليبيين انظر ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ١٥٦ — ١٥٧.

(٦٧) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠٠.

على الثبات والجهاد في سبيل الله[٦٨].

وكان الصليبيون قد شرعوا في عمارة حصن مطل على "تل عفرين" معتقدين أن المسلمين سيهاجمون حصني "الأثارب"[٦٩] أو "زردنا"[٧٠]، لكن "إيلغازي" اتبع أسلوبا عسكريا مميزا إذ بدأ في يوم السبت السابع عشر من ربيع الأول بعدة غارات خاطفة بعد أن أحكم الطوق على الصليبيين من ثلاث جهات، وهذا كان تكتيك عسكري موفق، لأن في الغارة السريعة الخاطفة تكون قوة الجنود أعظم، واتحادهم أقوى، وتحركاتهم سريعة فضلاً عن أنها تجعل هجوم الجيش كوثوب القائد الواحد.

وفي الحقيقة نجحت هذه الخطة العسكرية إذ اضطربت الصفوف الصليبية، وفي الوقت ذاته هبت من الجنوب رياح الخماسين وتضاءل الطعام والماء بالعسكر، فقرر "روجر" أن يقتحم صفوف العدو، وإلا تعرض للهلاك[٧١].

ومما هو جدير بالملاحظة أن "روجر" بهذا القرار قد خالف تعليمات الملك الصليبي بلدوين الثاني الذي أمره بالتزام سياسة الدفاع فقط دون الهجوم إلى حين وصول القوات الصليبية المتحالفة[٧٢].

ولعل سبب مخالفة روجر هو الوضع الراهن المتمثل في شن الغارات الإسلامية فضلاً عما لحق بالصليبيين من أذى[٧٣].

وأثناء التحام الجيشين تغير هبوب الرياح فجأة إلى الشمال، فساقت غمامة بالتراب إلى وجوه الفرنج[٧٤].

وقد أسهب المؤرخون المسلمون والصليبيون في وصف هذه المعركة "وحمل الترك بأسرهم حملة واحدة من جميع الجهات، صدوهم فيها، وكانت السهام كالجراد ولكثرة ما وقع في الخيل والسواد من السهام عادت منهزمة، وغلبت فرسانها، وطحنت الرجالة والأتباع والغلمان بالسهام"[٧٥].

وتظهر قراءة الباحثة التحليلية للنص السابق عدة أمور من أهمها:

- أسلوب المسلمين العسكري الخاطف والمطوق في نفس الوقت.
- فضلاً عن أنهم استخدموا سلاح السهام في الهجوم حتى إنه وصف بالجراد لكثرته، ولما أحدثه من ضرر في الصفوف الصليبية.
- إن تعبير المؤرخ بلفظ "وطحنت الرجالة" يدل على كثرة القتل، والذي امتد حتى شمل الأتباع والغلمان والذين تعرضوا لبوابل من سهام المسلمين.

وقد أوجز "ابن منقذ" حديثه عن نتيجة انتصار ايلغازي في هذه المعركة بقوله "وأفناهم وقتل صاحب أنطاكية روجار"[٧٦] وقد أسر معظم الصليبيين، وقتل روجر في المعركة[٧٧]، ولذا اشتهرت المعركة باسم معركة "ساحة الدم" (Ager sanguinis) لكثرة من قتل وأسر فيها من الصليبيين، فضلاً عما وقع في أيدي المسلمين من السبي والغنائم[٧٨].

وقد عبر اثنان من مؤرخي الحروب الصليبية وهما "وليم الصوري" William of Tyre "فوشيه الشارتري" Fuicher of charters عن نتيجة هذه المعركة بكل ألم واعتبرا الهزيمة التي لحقت بهم من سخط الرب عليهم لإسرافهم في المعاصي "وهكذا ترتب على ماارتكبناه من الخطأ أن لم تقدر النجاة لأحد من العدة الذين تبعوا مولاهم في ذلك اليوم،ولم يبق منهم أحد في الحياة ليروى خبر ماجرى، هذا في الوقت الذي كان فيه قتلى العدو شرذمة قليلين أو لاشيء مطلقا"[٧٩].

أما "فوشيه الشارتري" فعلق بقوله "وليس من المستغرب أن يسمح الرب بهزيمة روجر ورجاله الذين كانوا يرفلون في النعيم من كل نوع كما أن خطاياهم جعلتهم لايحترمون

(٦٨) عماد الدين خليل: الإمارات الارتقية، صـ ٢٤٤.
(٦٩) ابن العديم: زبدة، ج٢، ص ١٨٨.
(٧٠) زردنا: بليدة من نواحي حلب الغربية، الحموي: معجم البلدان، م٢، صـ ٤٧٢.
(٧١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٨.
(٧٢) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٦.
(٧٣) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٨.
(٧٤) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، صـ ٢٣٨.
(٧٥) ابن العديم: زبدة، ج٢، صـ ١٨٩.

(٧٦) ابن منقذ: الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م،ص٤٠
(٧٧) العظيمي: تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م صـ ٣٦٩ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.، صـ ٢٤ ؛ رينيه جروسيه: الحروب الصليبية، ترجمة احمد أييش، دار قتيبة، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م، صـ ٥٩.
(٧٨) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، صـ ٢٣٧، السيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١٩٩٣م ، ج١، ص٤٧٣. Walter the chancellor، Bella Antiochena،p١٠٠
(٧٩) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢،صـ ٣٥٢.

الرب أو الإنسان"[٨٠]

ولو أردنا أن نقف على العوامل التي أسهمت في هزيمة الصليبيين نجدها عدة ولعل من أهمها:

- مخالفة "روجر" لتعليمات الملك "بلدوين الثاني" بأن يلتزم بسياسة الدفاع لكنه تحول للهجوم دون انتظار النجدات الصليبية القادمة.
- كان للخطة العسكرية للمسلمين في هذه المعركة دورٌ كبيرٌ في النصر على الصليبيين.
- فضلا عن أن الظروف المناخية أسهمت في انتصار المسلمين حينما اشتد هبوب رياح الخماسين الجافة وما أثارته من أتربة في أعين الصليبيين.

نتائج معركة البلاط

كان لانتصار المسلمين صدى عظيم في هذه المعركة إذا استبشروا بها خيرًا. وكان مما رواه "ابن القلانسي" عن هذه المعركة: "من أحسن الفتوح، والنصر الممنوح، لم يتفق مثله للإسلام في سالف الأعوام"[٨١]، وأرسل الخليفة المسترشد العباسي بخلعة التشريف إلى "إيلغازي"[٨٢].

كما وصف "ابن العديم" استقبال أهالي حلب لبشرى النصر قائلاً: "فوصل البشير إلى حلب بالنصر، والمصاف قائم، والناس يصلون الظهر بجامع حلب، سمعوا صيحة عظيمة بذلك من نحو الغرب، ولم يصل أحد من العسكر إلى نحو صلاة العصر"[٨٣].

كما أن النصر رفع "إيلغازي" إلى مركز القيادة في حركة الجهاد ضد الصليبيين[٨٤]، واستطاع "إيلغازي" أن يقضي على طموح الصليبيين في السيطرة على حلب، لأن هذه الموقعة قررت مصير حلب، إذ بقيت في قبضة المسلمين[٨٥]. وصارت إمارة من إمارات إقليم الجزيرة[٨٦]. وتغيرت صورة المقاومة الإسلامية في حلب إلى النقيض تمامًا، حيث باتت أقوى في مواجهة الصليبيين وذلك بعد أن تبدلت موازين القوى بصورة حادة لصالح المسلمين[٨٧]، وثبت لهم أن بإمكانهم تحقيق النصر إذا ما اتحدوا بدون مساعدة السلطان السلجوقي[٨٨].

وبالنسبة للصليبيين فإن تدمير قوة الفرسان النورمان في هذه المعركة أدى إلى ضعف النفوذ النورماني في الشام، بينما قوي نفوذ الصليبيين القادمين من أواسط فرنسا وشرقيها[٨٩]، كما خسر الصليبيون قوة عظيمة من جنودهم في هذه المعركة وليس من اليسير تعويض من سقط صريعًا أو من أضحى أسيرًا لدى المسلمين[٩٠]. كما تحطمت الروح المعنوية للصليبيين بمقتل "روجر" صاحب أنطاكية وقد انهار الصليبيون لهذا الخبر حتى أن "فوشيه الشارتري" Fuicher of charters اعتبر هذه المعركة بمثابة نقطة سوداء في تاريخ الصليبيين فهي من الحوادث السيئة حيث اندهش لمقتل "روجر"، وكيف أن سبعة آلاف من رجال أنطاكية لقوا مصرعهم ولم يقتل من الأتراك سوى عشرين[٩١]. كما أن أنطاكية أصبحت بدون أمير يحكمها بعد مقتل "روجر" في المعركة، وكذلك أصبحت بلا جيش يحميها بعد القضاء على قواتها في المعركة المذكورة[٩٢].

وترى الباحثة أن لهذا النصر عدة نتائج ولعل من أهمها:

- أجبر القوى الصليبية أن تتخذ سياسة الدفاع والاعتصام في مدنها بدلاً من اتباع سياسة الهجوم.
- رفعت الروح المعنوية للمسلمين.
- فضلاً عن أنها لفتت أنظارهم إلى أهمية بناء جبهة إسلامية موحدة للتخلص من العدوان الصليبي.
- قويت لديهم العزيمة وأدركوا أهمية الاستيلاء على المدن ذات الموقع الإستراتيجي الطبيعي أو البشري أو ذات النفوذ الاقتصادي.
- كما عززت لديهم قاعدة بأنه لن يتم النصر على العدوان الخارجي إلا إذا تماسكت الجبهة الداخلية وتخلصت من

(٨٠) فوشيه الشارتري: الوجود الصليبي في الشرق العربي، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٩٣م، صـ ٢٧١.
(٨١) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠١.
(٨٢) صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس، صـ ٨٢.
(٨٣) ابن العديم: زبدة، ج٢، صـ ١٨٩،ص ١٩٠.
(٨٤) المزيني: تاريخ حلب، صـ ١٩٠.
(٨٥) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م، ج١، صـ ٤٠٥.
(٨٦) صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس، صـ ٧٦.
(٨٧) حامد غنيم: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م، ج١، صـ ١٨٨.
(٨٨) هانس ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ط ١٩٩٠م، صـ ١٢٠.
(٨٩) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، صـ ٢٤٦.
(٩٠) صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس، صـ ٨٥.
(٩١) فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة، ص ٢٧١، سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، صـ ٤٥.
(٩٢) فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، صـ ١٦٦.

الطبقة المسيطرة على السلطة خاصة إن كانوا من الخدم السلطاني.

حلب بعد معركة البلاط:

وعن تطور الأحداث بعد ذلك فإن إيلغازي نزل في خيمة "روجر"، فحمل إليه المسلمون ما حصلوا عليه من الغنائم وعرضوه عليه، فلم يأخذ منه إلا بعض السلاح لإهدائه إلى ملوك الإسلام، ومنحهم باقي الغنائم(٩٣).

والحقيقة أن "إيلغازي" اكتفى بما حققه من نصر حتى إنه لم يفكر في مهاجمة أنطاكية رغم أن الطريق كان مفتوحٌ، ولذا وجه المؤرخون اللوم إلى "إيلغازي" بأنه لم يستغل انتصاره في معركة "البلاط" بالتوجه مباشرة إلى أنطاكية التي أضحت بلا مدافع، بدلاً من الاكتفاء بالغارات السريعة الخاطفة.

هناك من يذكر أن المسلمين انشغلوا بجمع الغنائم عن مواصلة مشوارهم في الجهاد الإسلامي(٩٤).

ومن زاوية أخرى يرى "ابن القلانسي" أن عدم حضور "طغتكين" للمعركة أفقد إيلغازي مشورة قائد خبير في قتال الصليبيين، وهذا في رأي الباحثة يؤكد على أهمية الشورى في تبادل الخبرات(٩٥).

ولعل "إيلغازي" تخوف من صدى إسقاط إمارة أنطاكية الصليبية أن تؤدي إلى قدوم حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي يصعب التصدي لها(٩٦).

وذكر "محمد بن مؤنس" مبررًا قويًا لما فعله "إيلغازي" حيث قال: "غير أننا لا نتصور أن الطريق مفتوحًا تمامًا لتقدم إيلغازي إلى المدينة المذكورة، لأنه في هذه الحالة من المتصور، أن الإمبراطورية البيزنطية لن تقبل بامتداد السيادة الإسلامية لأية قوة ما محلية إلى أنطاكية التي كانت من قبل من أملاك تلك الإمبراطورية"(٩٧).

وترجح الباحثة رأي المؤرخ "محمد مؤنس" إذ من الصعب على "إيلغازي" أن يفتح على نفسه مجابهة خصمين في آن واحد الصليبيين والبيزنطيين وهو زعيم جهاد ناشئ.

فضلا عن أن الباحثة ترى أن "إيلغازي" رأى روح السأم الذي تملك جنده فلا يستطيع إجبارهم على مواصلة القتال، وهذا مما دفع "صلاح الدين الأيوبي" فيما بعد أن يعقد صلح الرملة مع الصليبيين في الحملة الصليبية الثالثة مع أنه الكفة الراجحة في القتال لكن روح السأم والملل عند جنده أجبرته على قبول الصلح والعدول عن مواصلة الجهاد(٩٨).

كما أنه تخوف من الابتعاد كثيرًا عن حلب فقد تراود الصليبيين فكرة إعادة الكرة على حلب بغرض السيطرة عليها. بالإضافة إلى أن خطة "إيلغازي" العسكرية كانت تستهدف إنقاذ حلب من العدوان الصليبي وليس الاستمرار في الفتح والنصر إلى أمد أبعد من ذلك.وعليه فإن حجم القوات ومدادها العسكري والاقتصادي فضلا عن الاستعداد النفسي للجند يكون بقدر يساوي تحقيق الهدف الأساسي، ولذا كان من العسير عليه التوجه إلى أنطاكية مباشرة.

مهما يكن من أمر، فإن تلك الهزيمة قد أرغمت الصليبيين في أنطاكية على الدخول في مفاوضات مع حلب من أجل الوصول إلى اتفاق، وتمكنوا من عقد اتفاق مع "إيلغازي" كفل للطرفين الإسلامي والصليبي السلام والموادعة(٩٩).

أما عن وضع إمارة أنطاكية بعد هذه المعركة فقد تولى "بلدوين الثاني" الوصاية عليها لمدة سبع سنوات (٥١٣-٥٢٠هـ/١١١٩ - ١١٢٦م) إلى أن تولى أمرها "بوهيمند الثاني" Bohemond II (٥٢٠- ٥٢٤هـ/ ١١٢٦- ١١٣٠م)(١٠٠)

الخاتمة

• إن موقع حلب الإستراتيجي جعل القوى السياسية من

(٩٣) ابن العديم: زبدة، ج٢، صـ ١٩٠.

(٩٤) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠١، ابن العديم: زبدة، ج٢، صـ ٢٧١، مسفر الغامدي: - الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م، صـ ١٥٥

(٩٥) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠١.

(٩٦) ضفاء عثمان: مملكة بيت المقدس، صـ ٨٤.

(٩٧) محمد مؤنس: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، صـ ١٥٩.

(٩٨) محمود عمران: تاريخ الحروب الصليبية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ٢٠٠٦م، صـ ١٨٣.

(٩٩) ابن القلانسي: ذيل، صـ ٢٠٢، عبد الغني زهر: الهدن والمفاسخات، صـ ٤١.

(١٠٠) حسين عطية: إمارة أنطاكية، صـ ١٤١.
Stevenson. the crusaders in the east.p.105

حولها تتنافس في السيطرة عليها.

• كان لضعف الجبهة الداخلية في حلب دور كبير في تشجيع الصليبيين على التطلع للسيطرة عليها.

• أوضحت الدراسة أن عدم الثقة بين أمراء المسلمين بسبب سيطرة أطماعهم الشخصية على الموقف حال دون تكوين جبهة إسلامية موحدة ضد العدوان الصليبي.

• لعب الأراتقة دورا كبيرا في حركة الجهاد الإسلامي ضد العدوان الصليبي خاصة بعد سيطرة إيلغازي بن أرتق على حلب.

• أوضحت الدراسة أن الخلافات الشخصية بين الأمراء المسلمين هي التي دفعتهم للاستنجاد بالقوى الصليبية المجاورة.

• إن المصالح المشتركة لدى الصليبيين في الاستيلاء على حلب جعلتهم يدخلون في تحالف مشترك في سبيل تحقيق هذا الهدف.

• كان لحسن التكتيك العسكري لإيلغازي إضافة إلى الظروف المناخية دور ملموس في انتصار المسلمين في معركة البلاط.

• إن أهمية أي معركة تتمثل في النتائج المترتبة عليها مستقبلا وليس في نتيجتها ساعة الالتحام.

• ناقشت الدراسة الأسباب التي منعت إيلغازي من التوجه مباشرة بعد هذه المعركة للسيطرة على أنطاكية.

• أدت هذه المعركة إلى تولي الملك بلدوين الثاني الوصاية على إمارة أنطاكية لمدة سبع سنوات.

وخلاصة القول أن معركة البلاط (ساحة الدم) تعد صفحة من صفحات الصراع الإسلامي الصليبي وتعدمن بوادر الآمال المبكرة لدى المسلمين في إمكانية تحقيق النصر المؤزر على الصليبيين وطردهم من الأراضي الإسلامية.

قائمة المراجع

أولا: المصادر العربية والمعربة

١. ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م. – الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م.

٢. الحريري: السيد علي الحريري.

٣. الأخبار السنية في الحروب الصليبية، مكتبة الفاروق، القاهرة.

٤. ابن خلدون: عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م.

٥. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٦. الذهبي: شمس الدين محمد أحمد، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م.

٧. دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل، بيروت، ط ١٩٩٩م.

٨. ابن العديم: كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد، ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م.

٩. زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط١٩٥١م.

١٠. العظيمي: محمد بن علي العظيمي الحلبي، ٥٥٦هـ / ١١٦١م.

١١. تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.

١٢. أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م.

١٣. تقويم البلدان، باريس، ط ١٨٥٠م.

١٤. فوشيه الشارتري: الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٩٣م.

١٥. القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م.

١٦. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د (ت)

١٧. ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن القلانسي، ت٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

١٨. ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، د (ت).

١٩. ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م.

٢٠. البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٢١. ابن منقذ: أسامة بن علي بن نصر، ت ٥٨٤هـ / ١١٩٢م.
٢٢. الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م
٢٣. ابن أبي الهيجاء: عز الدين محمد بن محمد الأربلي، ت ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م.
٢٤. تاريخ أبي الهيجاء، تحقيق د: صبحي عبد المنعم، رياض الصالحين، ط١، ١٩٩٣م.
٢٥. ابن الوردي: أبو حفص زين الدين، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م.
٢٦. تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٧. وليم الصوري: - الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٨. ياقوت الحموي: شهاب الدين بن عبد الله،ت ٦٢١هـ / ١٢٢٨م.
٢٩. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت).

ثانيا : المراجع العربية والمعربة:

٣٠. إبراهيم محمد المزيني: إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٢٠٠٣م
٣١. إرشيد يوسف راشد: سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م.
٣٢. حامد غنيم أبو سعيد: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.
٣٣. حسن احمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف العالم الإسلامي في العصر العباسي،دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٥م.
٣٤. حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩م.
٣٥. رينيه جروسيه الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أيبش، دار قتيبة، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.
٣٦. سامية عامر: الصليبيون في فلسطين، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٣٧. ستيفن رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
٣٨. سعيد أحمد برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
٣٩. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م.
٤٠. سيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١٩٩٣م.
٤١. صفاء عثمان محمد: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني، دار العالم العربي، ط١، ٢٠٠٨م.
٤٢. عبد الغني عبد الفتاح أبو زهرة: الهدن والمفاسخات، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م.
٤٣. عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
٤٤. فايد حماد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
٤٥. محمود سعيد عمران تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
٤٦. مسفر سالم الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.
٤٧. محمد محمد مرسي الشيخ: الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١٩٩٠.
٤٨. محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٩. مكسيموس مونرو ند تاريخ الحروب الصليبية في المشرق، ط أورشليم، ١٩٦٥م.
٥٠. - هانس ماير تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ط ١٩٩٠م

ثالثا: المراجع الأجنبية:

[51] Nicholson(B.L)،TheGrowth of the latin states،pennsylvania1958
[52] Walterthechancellor.Bella Antionhe-na،1879
[53] Stevenson،W،B.The Crusaders in the East،London،1907

Islamic Conflict Crusader In the Battle of Tiles (Square Blood) 513AH/1119AD

A. M. Al-Harbi
Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Taibah University, K.S.A.

Abstract

In this paper we will stand to the events of the battle of "tiles" that took place years 513 AH / 1119 AD between the two sides of the Islamic and Crusader، have been known when the historians of the Crusades "Square blood." Our study relies on several axes of the most important of the political situation in Aleppo، such as the battle Importance of the site of Aleppo We will stand on a concerted effort to save her Islamic Which was one of the results of a "battle of the tiles and the victory of the Muslims against the Crusaders and we'll show in this study، the military plan developed by the Muslims in the fighting، the most important factors that helped to victory، and the results of this battle. In the end، concluded، research and analysis to talk about the reasons for the lack of control "Elghaza" to Antioch with the opportunity that was available to him greatly. As well as the most important findings of their study.

Keywords: Aleppo، Alp Arslan، Pearl server، Mohammed Malikshah، Tel Dno، Aleratqh، Baldwin II، Tel Afrin، tiles، Antioch.